استحضار الأبعاد السياسية من خلال عتبتي (العنوان والغلاف) في رواية "عدو الشمس، البهلوان الذي صار وحشا" لمحمد سعيد الريحاني

Evoking the political dimensions through the two thresholds (title and cover) in the novel "The Enemy of the Sun, the Acrobat Who Became a Beast" by Muhammad Saeed Al-Rayhani

عيسى مباركية[1] *

[1] جامعة البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج (الجزائر)، issambarkia@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/02/13 تاريخ القبول: 2023/06/02 تاريخ النشر: 2023/06/05

ملخص :

تعد عتبتا العنوان والغلاف من بين أهم عتبات النص الأدبي، إذ من خلالهما يستطيع الباحث أن يستنطق خبايا النص ويكشف أغواره ويقبض على دلالاته الكامنة ضمنه، قبل الولوج إلى أعماقه، فهما بمثابة مرآة مصغرة للعمل الأدبي، أو نصا موازيا له يعكسان مقصدية الكاتب.

وتحاول هذه الدراسة الوقوف على هاتين العتبتين (العنوان، الغلاف) في رواية "عدو الشمس، البهلوان الذي صار وحشا" للروائي "محمد سعيد الريحاني"، من أجل الإطلاع على خفايا النص واستحضار أبعاده السياسية الكامنة ضمنه.

***كلمات مفتاحية:** العنوان، الغلاف، الأبعاد السياسية، رواية "عدو الشمس".*

Abstract:

The thresholds of the title and the cover are among the most important thresholds of the literary text, as through them the researcher can interrogate the secrets of the text, reveal its depths and arrest the Its latent connotations, before entering its depths, are like a miniature mirror of the literary work, or a parallel text that reflects the intention of the writer. This study attempts to stand on these two thresholds (title, cover) in the novel "The Enemy of the Sun, the Acrobat Who Became a Beast" by the novelist "Mohammed Saeed Al-Rayhani", in order to see the secrets of the text and evoke its underlying political dimensions.

***Keywords**: title, cover, political dimensions, "The Enemy of the Sun" novel.*

* المؤلف المرسل: عيسى مباركية ، الإيميل : issambarkia@yahoo.fr

1. مقدمة:

لقد اهتمت الدراسات الحديثة للرواية بالعنوان والغلاف، واعتبرتهما عنصران مهمان من عناصر الرواية مثله مثل النص، فهما بمثابة المحوران الدلاليان اللذان يدور حولهما مضمون النص، بل واعتبرتهما مرآة عاكسة للمتن؛ كون الأول (العنوان) يعتبر الممر الرئيسي للولوج إلى النص، أو إن صح التعبير يمكننا القول بأنه نصا موازيا للمتن الروائي كونه عبارة مختصرة لمضمون النص، والثاني (الغلاف) بوصفه لوحة ضمن معمار النص توحي ألوانه وأشكاله وفضاءاته غالبا بالأحداث المترامية ضمن النص الروائي.

ورواية **"عدو الشمس، البهلوان الذي صار وحشا"** التي نحن بصدد دراستها هي رواية سياسية « لعبت دورا هاما في التغيير الاجتماعي والسياسي، بنقدها للواقع الاجتماعي والسياسي، وكشفها لبذور التحول السياسي وتقديمها للشخصيات الايجابية المبشرة بالثورة»[1]، إذ أصبح الفن الروائي يعبر عن العديد من القضايا السياسية، فقد تحدى الروائيون كل الطابوهات والايديولوجيات وعبروا عن معاناة الفرد داخل مجتمعه، وقد عبرت الرواية السياسية عن « القضايا والموضوعات السياسية التي تلعب فيها الدور الغالب بشكل صريح ورمزي، وبينت أن كاتب الرواية السياسية ليس منتميا - بالضرورة - إلى حزب من الأحزاب السياسية، لكنه (صاحب أيديولوجيا) يريد أن يقنع بها قارئه بشكل صريح أو ضمني »[2]

ورواية **"عدو الشمس، البهلوان الذي صار وحشا"** ؛ رواية تناولت **تناولت قضية سياسية تمثلت في " الربيع العربي". إذ تعد أول رواية عن الثورة الليبية، أو ما يعرف بثورة 17 فبراير، وتدور أحداث الرواية حول واقع المجتمع الليبي خلال حكم "معمر القذافي"، وترصد مسيرة حكمه منذ توليه السلطة إلى غاية مقتله، كما ترصد ما انجر من فساد تفشى أثناء فترة حكمه.**

وقبل أن نشرع في هذه الدراسة سنطرح بعض الأسئلة التي من خلالها يمكننا أن نميط اللثام ونكشف عن جوهر هذه الدراسة:

- فهل يمكننا القول بأن العنوان ترجمة حرفية "مختصرة" لنص الرواية ؟.
- إلى أي مدى يوحي غلاف الرواية بمتنه ؟.

- هل يمكننا أن نقول إن للعنوان والصورة المصاحبة للغلاف دور في تمظهر الأبعاد السياسية ؟.

وحتى يتسنى لنا استحضار هذه الأبعاد السياسية في هذه المدونة الروائية من خلال هاتين العتبتين، سنعمل على دراسة كل منهما(العنوان والغلاف) بدءا بالعنوان ثم تليها دراسة الغلاف.

1. قراءة في العنوان:

يعد العنوان أولى العتبات أو الفواتح النصية التي تسترعي انتباه القارئ نظرا لاحتلاله واجهة الغلاف، فهو الذي يشد القارئ لدخول عالم قراءة النص من خلال شعريته وإغرائيته وغرابته وطرافته، وهو على حد قول "جميل حمداوي": «المحور الدلالي الذي يدور حوله مضمون النص، وتبنى عليه دلالاته السطحية والعميقة، كما أنه الأساس الموضوعاتي الذي يتحكم في بناء الأشكال الإبداعية، واختيار الفنيات الجمالية والأسلوبية»[3]، لذالك وجب على الباحث أن يحسن قراءته وتأويله والتعامل معه، كونه يعتبر الممر الرئيسي للولوج إلى النص، أو هو بعبارة أخرى جواز سفر يسمح لنا بالمرور إلى هذا العالم الغريب عنا – قبل معرفة مضمونه – لذلك قيل بأنه «المفتاح الذي به تحل ألغاز الأحداث، وبه يستساغ إيقاع نسقها الدرامي وتوترها السردي، علاوة على مدى أهميته في استخلاص البنية الدلالية للنص، وتحديد تيمات الخطاب القصصي، وإضاءة النصوص بها»[4].

فالعنوان يلعب دورا بارزا في فهم المعاني العميقة للعمل الأدبي، ويستفز القارئ للغوص في عمق النص والتعمق في شعابه واستكناه خفاياه، والسفر في دهاليزه الممتدة من أجل فك الكثير من طلاسمه وألغازه.

والعنوان يرتبط أشد الارتباط بالنص الذي يعنونه، فهو نص مختصر، وإن شئت قلت مرآة مصغرة لذلك العالم النصي، أو نصا موازيا. يتعامل مع نص كبير يعكس كل أغواره وأبعاده، ويمنحه الإضاءة الضرورية ويمده بالمعنى النابض، مما يجعلنا نقول إن علاقة العنوان بالنص هي «علاقة تكاملية وترابطية: الأول يعلن والثاني يفسر»[5]، فلا يفهم النص إلا من خلال ربطه بعنوانه، حتى يكون منطلقا لتفسيره، أو التفسير به، لتغدو العلاقة فيما بينهما تكاملية تفاعلية، ليس بينه وبين النص فقط، بل بينه وبين القارئ والنص معا.

وسأسعى في هذه الدراسة إلى محاولة استنطاق عنوان المدونة الروائية (عدو الشمس، البهلوان الذي صار وحشا)، كونه يعد عتبة أولى لقراءة نصه، يتضمن ويعكس كل الأغوار والأبعاد والإحالات التاريخية والاجتماعية وخصوصا السياسية المترامية المتواجدة في ثنايا هذه المدونة الروائية، وهو الأمر الذي يستدعي فك شفراته ورموزه اللغوية التي تعلو بنيان هذا العنوان.

إن أول ما يستوقفنا في عنوان رواية "عدو الشمس، البهلوان الذي صار وحشا" هو ذلك الخرق الدلالي الذي تحدثه عبارة (عدو الشمس)، وتثير شكا عند القارئ وتخلق حالة من الحيرة لديه، مما يدفعه للكشف عن أغوار النص الذي يصبح في هذه الحالة شرحا للعنوان.

فقد أفلح بناءه اللغوي في إثارة القارئ كي يطرح التساؤل حول العلاقة بين العنوان ومضمون النص، فعنوان الرواية "عدو الشمس، البهلوان الذي صار وحشا" وظفه الروائي ليكون مدعاة لفضول القارئ ليعرف محتوى هذا النص الروائي ويكتشف مضمونه، ومن ثم الوصول إلى مدى تطابق العنوان مع المتن الروائي الذي يصبح بعد ذلك العنوان الأصلح للرواية، بعد أن كان يبدوا غامضا نوعا ما.

إن رواية "عدو الشمس، البهلوان الذي صار وحشا" يتكون من مقطعين: المقطع الأول "عدو الشمس"، جاء جملة خبرية مكونة من مضاف ومضاف إليه؛ وكانت لفظة "عدو" خبر المبتدأ محذوف تقديره (هذا عدو) وهو مضاف، وأما عن لفظة "الشمس" فكانت مضافا إليه وهذه العبارة "عدو الشمس"، اختيرت لتكون المفتاح الأول للعنوان، كونها تختزل العديد من المعاني والدلالات المختلفة، والتي من شأنها أن تغري القارئ من الوهلة الأولى وتشد انتباهه فغير ممكن أن يكون للشمس أعداء، إلا إذا كانت هذه الشمس تحمل أبعادا دلالية وأخرى رمزية.

فإذا بحثنا في الدلالة المعجمية لهذه العبارة، نجد أن لفظة "عدو" ضد الصديق، ويقول الزمخشري في أساس البلاغة: «عدو: "أعدى من ذئب"، وتقول: ما هو إلا ذئب عَدْوان دينه الظلم والعُدوان،واستعديت عليه الأمير فأعداني. ولي قبله عدوى أي استعداء ...»[6].

فهذه اللفظة تحمل معنى الخصومة، فالعدو بمعنى الخصم، الذي لا تكن له المودة ...

أما عن لفظة "الشمس" فقدت وردت في لسان العرب:«شَمَسَ، يَشْمُسُ، شُمَّوسًا، أي ذو ضِحٍّ نَهَارَهُ كُلُّهُ، وشَمَسَ يَوْمُنَا بشَمْس إذا كان ذا شَمْسٍ. ويوم شَامِسٌ: واضح، وقيل: يوم شَمْسٌ وَشَمِسٌ صحو لا غيم فيه/.../ والشَّمْسُ عين الضِحِّ، قال: أراد أن الشَمسَ هو العين التي في السماء تجري في الفلك، وأن الضِحَّ ضوءه الذي يشرق على وجه الأرض»[7]، وهذه اللفظة لا تخرج معانيها عن الوضوح والإشراق، ومن المعاني التي يمكن أن نستشفها من هذه العبارة "عدو الوضوح"، "عدو الإشراق"، "عدو الحرية"، "عدو الديمقراطية"...وهذه كلها دلالات تكشف عن وحشية حاكم مستبد ومتسلط ومتجبر.

وقد اتسم هذا المقطع من الرواية بإثارة وتشويق القارئ إلى معرفة كنه هذا العدو؛ إذ يتبين للقارئ بعد تتبع أحداث الرواية أن "عدو الشمس" هو الحاكم الليبي "معمر القذافي".

وإذا تتبعنا تموضع لفظتي "عدو الشمس" في الرواية، نجدها تقترن دائما بكبت حرية الشعب الليبي، ومصادرة رأيه وحرمانه من المطالبة بحقه، ورفضه التام لديمقراطية الشعب.

فإذا أخذنا بمقولة الديمقراطية أن الحكم للشعب أو حسب ما تم شرحه أن هذه الكلمة يونانية «تتكون اشتقاقا من كلمتين هما Demos أي الشعب، Kratia أي السلطة أو الحكومة وتعني الديمقراطية حكومة الشعب، أي اختيار الشعب لحكومته وغلبة السلطة الشعبية على هذه الحكومة التي يختارها»[8].

وإذا ما تتبعنا الأفكار الواردة في مقاطع الرواية نجدها لا تتوافق مع معنى الديمقراطية التي يكون فيها الحكم والسلطة للشعب، وعن هذا نجد الروائي "محمد سعيد الريحاني" يقول على لسان شخصيته "معمر القذافي": «إن السلطة والحكم ينتجان "الطاغية". وعليه، ارتأيت أن أقتسم معكم القوتين لضمان الفعالية: فلكم أنتم الشعب السلطة؛ولي أن القائد الحكم. كما أن حراسة الثروة والتصرف فيها تنتجان "الإسراف والتبذير". وعليه، ارتأيت أن أقتسم معكم الدورين: فلكم، أنتم الشعب، حراسة الثروة النفطية وباقي الثروات الطبيعية؛ ولي أنا القائد صلاحية التصرف فيها»[9]. فأين حكم الشعب؟ وأين سلطته من هذا؟

ويضيف في موضع آخر من الرواية مقطعا يصادر فيه حرية الشعب ويحرمه من المطالبة بحقه ومن التعددية الحزبية، ومن حق النقد و...فنجده يقول:«لقد أوقفنا التاريخ...فلا أحزاب، بعد اليوم، ولا نقابات ولا جمعيات... لا نقد ولا محاسبة ولا مطالب ولا أسئلة... لا كتب مقدسة... لا شيء غيري وغير كتابي وخطبي...»[10].

فقد وفق الروائي في اختيار هذا المقطع من العنوان (عدو الشمس) الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالعديد من الأفكار المترامية في الرواية.

أما عن المقطع الثاني من هذه الرواية (البهلوان الذي صار وحشا)، فقد كان مفسرا وشارحا للمقطع الأول ومزيلا للغموض عنه ومبينا دلالاته، وقد استند هذا المقطع دلاليا إلى التضاد والتنافر بين لفظتي (بهلوان ≠ وحشا)، فقد صيغ في «هيئة مقلوبة تماما، تثير في ذهن المتلقي انقلابا تعبيريا أو صوتيا، وتشحنه بتناقض في الاتجاهات»[11]، وهذا ما سيتم توضيحه من خلال تتبعنا لمكونات هذا المقطع؛ الذي يتكون من أربع دوال:

أول دال يتمثل في لفظة "البَهْلوانُ"؛ الذي هو خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذا البَهْلوانُ) والبَهْلوانُ كما هو معلوم هو الذي يسعى إلى إضحاك الناس وتسليتهم والترويح عنهم،وهي نفس الدلالات التي نجدها في النص، فبعد الانقلاب الذي قام به "معمر القذافي" مع ضباط أحرار، أنهوا الملكية وأطاحوا بالملك "إدريس الأول"، والذي قد أطلق عليه لاحقا "ثورة الفاتح من سبتمبر"، وتوليه السلطة عام 1969، ألقى خطابا على مسامع شعبه، يوهمهم بأنهم قاموا بثورة أطاحوا فيها بالملك "إدريس"، وعن هذا الأمر نجد في ثنايا الرواية القول التالي:«الناس تتبادل اندهاشها من مضمون خطاب القائد، مغمغمة:

- إنه يقول بأننا قمنا بثورة بينما كنا جميعا، لحظة إعلان الخبر، نشرب القهوة العربية في مقاهي الشيشة !...
- أمر مضحك فعلا ولو أنني لاحظت علامات أخرى أكثر طرافة في خطابه وإيماءاته بحيث بدا لي، في لحظة من اللحظات، بهلوانا...
- كيف يكون بهلوانا وهو قائد ثورة؟!

- ألم تقل قبل قليل بأنك تفاجأت لكونه لم تحدث ثورة في البلد ومع ذلك فهو يقودها؟ كيف يمكنه قيادة ثورة لم تحدث؟ أليس هذا سيركا؟ أليس الرجل بهلوانا؟!
- ومع ذلك، فالمرحلة تحتاج إلى القليل من الفكاهة للترويح عن النفس من الاحباطات المتلاحقة. ربما، من الأفضل أن يكون الرئيس بهلوانا على أن يكون شيخا وقورا يدَّعي الجد ويجهد نفسه في إقناعنا بمظهره ونيته...
- من هنا، أنا أرى بأن ما يحدث هو فعلا ثورة!
- ثورة بهلوان على مظاهر الرزانة والوقار والحكمة!/.../ يغرق الجميع في الضحك وينصرفون غير مبالين بالقائد مترجلا قربهم وسط هالة من الحرس العسكري»[12].

كما نجد في مواضع أخرى من الرواية ما يدل على أن البلاد كان يقودها بهلوان من ذلك قول الراوي: «بعد انقلاب الفاتح من شتنبر بالتقويم الأخضر الذي يوافق نزول الإنسان على سطح القمر بالتقويم الملون، وبث أول خطاب للعسكري الذي لا يعرفه أحد، تنفس الناس الصعداء لرؤية "بهلوان" يحكمهم وينفس عنهم كربهم وهَمَّهم بتسليتهم وإضحاكهم ومع مرور الأيام، صار الشعب برمته يطلبه لإضحاكهم بينما يرى العسكري بأنه مطلوب من لدن الجماهير للضرورة التاريخية ...»[13]، كما نجد في ثنايا الرواية ما يوحي بأنه بهلوانا فيقول الكاتب على لسان "معمر القذافي": «ولأنني صرت رئيس دولة، فقد وجب على العالم أن يعرف ذلك وأن يكتب الجميع عنه، هذا بالطبع سيعني حضوري يوميا على وسائل الإعلام و لو بسرد النكت أو ارتجال طرائف في المؤتمرات أو اقتراح المبادرات المضحكة ...»[14].

وكل هذه المقاطع التي تم الاستدلال بها، والتي تضمنت معاني التسلية والإضحاك والمواقف الطريفة والغريبة نجدها تقترن اقترانا تاما بلفظة "البهلوان".

أما عن الدال الثاني فيتمثل في الاسم الموصول "الذي"، وكما هو معلوم أن الاسم الموصول يحتاج إلى صلة تكمل معناه وتوضح المقصود به وتزيل إبهامه، فجاءت الجملة الموصولة شارحة لذلك الغموض "الذي صار وحشا".

والدال الثالث يتمثل في لفظة "صار" وهي فعل ماضي ناقص مبني على الفتح والتي لها دلالة على تغير الحال قبله وبعده (بهلوانا ـ وحشا)،ومن الأسباب التي نجدها في ثنايا الرواية تدل على تغير هذه الحالة أي من (بهلوان إلى وحش)، «لما سمع العقيد باستعداد شعبه للخروج إلى الشارع في تظاهرات شعبية عارمة مطالبين بالديمقراطية»[15]، وكذا تساؤلهم عن مسألة إعادة السلطة للشعب من ذلك قول الراوي على لسان أحد شخصياته: «أين "إعادة السلطة للشعب" التي كان يتشدق بها يوم انقلب على سيده ؟!»[16]، وكذا تذمرهم من سلب حقوقهم وعسر معيشتهم ونهبه لثرواتهم النفطية وغيرها، كل هذا كان سببا في انفجار غضبهم وخروجهم في حشود عظيمة «يشعلون النار في مقرات حزب اللجان الشعبية ويهدمون مجسمات "الكتاب الأخضر" مهللين:

- "الشهيد يريد إسقاط النظام !"...
- دم الشهيد، ما يسيل هباء !...»[17]

وكل هذه الأمور تطيح بنظام هذا الحاكم المستبد الذي يعاني جنون العظمة والفصام فكل شيء إلا كرسي الحكم عنده «فهو علاج مجانين العظمة»[18]، وهو الأمر نفسه الذي جعله وحشا كاسرا يفتك ببني جلدته.

ورابع دال في هذا المقطع من العنوان، لفظة "وحشا"، وهو خبر "صار" وتعني هذه اللفظة معجميا: «كل ما لا يستأنس من دواب البر، فهو وحشي، تقول: هذا حمار وحش وحمار وحشي، وكل شيء يستوحش عن الناس فهو وحشي، وفي بعض الكلام: إذا أقبل الليل استأنس كل وحشي، واستوحش كل إنسي»[19]، فهذه اللفظة حسب ما ورد في هذا المعجم تقترن بدواب البر، وهي لا تعرف الخوف، بل يرعب منها الناس وهذا ما تبينه صفحات الرواية، فقد وصل الأمر بالحاكم المستبد والطاغية والوحش إلى حد الفتك بكل أفراد شعبه شبابا وشيوخا ثوارا كانوا أم عزل، حرق البلاد وقصف المتظاهرين من أجل البقاء والاحتفاظ بكرسي الحكم، فـ «كانت الطائرات تقصف المتظاهرين بلا هوادة، مرسلة اليتم إلى بيوت المتظاهرين والحيرة إلى عقول الشاهدين من المتسائلين عن طبيعة الجثث المفحمة على الطرقات: ـ هل هي هياكل عظمية متفحمة؟!...

- كيف يصير المرء هيكلا عظميا في ثوان؟!...
- ما طبيعة المواد التي تلقيها الطائرات كي تحيل المرء إلى هيكل عظمي متآكل؟!
- الهياكل تبدوا وكأنها أخرجت للتو من قبر من مقابر القرن الماضي!...
- كلا ! هذا أخي وهذا جاري وهذا صديق طفولتي!...
- أنا أعرف هؤلاء: أعرف أسماءهم وعناوينهم واهتماماتهم ومستوياتهم الدراسية وبرامج عطلهم الربيعية القادمة!...»[20]

ونجد في مواضع أخرى من الرواية ما يدل على وحشيته ومدى تشبثه بالسلطة، فيقول: «أنا لست رئيسا: أنا زعيم ثورة. أنالا منصب لي. ولذلك، لا يمكنني التنحي. فأنا مقاتل ثائر وسأدافع عن ثورتي إلى آخر رجل من رجالي، أنا ليس لدي سوى بندقيتي، سأقاتلكم وأقْتُلُكُم وأقَتلَكُم جميعا. سأحرق ليبيا وأسيطر على الموقف ولو في بحر من الدماء فأنا الشعب، أما أنتم فمجرد متآمرين على الشعب...»[21]، كما يوضح محمد سعيد الريحاني في موضع آخر مدى وحشية هذا الزعيم فنجده يقول على لسانه:«أنا هنا لأحكمكم فوصفة طبيبي تقرن دوائي بحكمي لكم وتربط شفائي بطاعتكم لي. ولذلك فأنا لا أتوقع من شعب حكمته أربعين عاما أن يرجعني إلى نقطة الصفر، إلى جنوني. أنا مصاب بجنون العظمة والسلطة هي دوائي ومسكن دائي. لذلك، فأنا أحذركم من المساس بدوائي وإلا فترون وحشا كاسرا، فإما أن تقفوا معي فتستمر الحياة أو أن تتكالبوا علي وآنذاك سأقتلكم جميعا حيثما اختبأتم وسأرجمكم بكل ما أملك من أسلحة ضد الجدران وراء ظهوركم وطبقات الأرض تحت أرجلكم. لن أرحمكم إذا ما خالفتموني/.../ ولمن سيقاوم دخولي التاريخ من بابه العريض عليه أن يقاوم جموحي وأوله هجومي على شعبي بجيوش المرتزقة قتلا وتنكيلا، هل فعل هذا أحد قبلي؟...»[22].

ويضيف في إحدى خطبه التي سجلتها الرواية:«الليلة، ستنتهك حرمات البيوت، الليلة ليلة الزحف، الزحف في كل الاتجاهات: زنقة زنقة، دار دار، غرفة غرفة، فردا فردا...!. الليلة ليلة الزحف عليكم، أيها الجرذان!.سنمسككم واحدا واحدا لتختبئ الجرذان وليرقص الأنصار في الشوارع ويغنوا ويستعدوا لقتل الجرذان وبقر بطونهم وحرق جثثهم وإنه لزحف حتى النصر»[23]، فكل هذه المقاطع توضح مدى وحشيته وجبروته وتسلطه، فقد استطاع بحكم

منصبه في الدولة أن يقهر شعبه ويسلط عليه أقسى وأبشع العقوبات، حتى لا يطالب بأدنى حقوقه وواجباته.

ونستنتج مما سبق أن العنوان في هذه الرواية يهدف من ورائه الكاتب إلى التعبير عن واقع النظام السياسي الممارس في حق الشعب الليبي قبل الثورة وأثناءها، كما يعبر عن مدى وحشية وجبروت وتسلط واستبداد وظلم وجور الطاغية، وهوسه بالسلطة ورغبته في التحكم في رقاب شعبه طيلة حياته.

2. قراءة في الغلاف:

يعد الغلاف عتبة من بين العتبات المهمة، التي يمكن من خلالها استنطاق خبايا النص وكشف أغواره والقبض على دلالاته الثاوية بين دفتيه من خلال الصور المصاحبة له وقد حظي باهتمام كبير في الآونة الأخيرة، واعتبرته الدراسات الحديثة للرواية عنصرا هاما من عناصر الرواية مثله مثل النص، بل واعتبرته بمثابة المرآة العاكسة للمتن بما يحويه من أيقونات علاماتية تعكس مضمونه.

لذلك عُد «عتبة ضرورية للولوج إلى أعماق النص؛ قصد استكناه مضمونه وأبعاده الفنية والأيديولوجية والجمالية، وهو أول ما يواجه القارئ قبل عملية القراءة والتلذذ بالنص؛ لأن الغلاف هو الذي يحيط بالنص الروائي، ويغلفه، ويحميه، ويوضح بؤره الدلالية من خلال عنوان خارجي مركزي أو عبر عناوين فرعية تترجم لنا أطروحة الرواية أو مقصديتها أو قيمتها الدلالية العامة»[24].

وعلى مستوى هذا الغلاف نجد العديد من الأيقونات العلاماتية المصاحبة له، من ذلك الصور التي يتضمنها؛ فصورة الغلاف «إضافة إلى كونها وسيلة من وسائل الإشهار وجذب القراء عن طريق الألوان والتعابير تعطينا – ولو نظرة موجزة – حول النص»[25]، إضافة إلى الصورة، هناك: الألوان، التجنيس،اسم الروائي، عنوان الرواية، دار النشر... «إذ تعتبر جميعها أيقونا علاماتيا يوحي بكثير من الدلالات والإيحاءات، وتعمل بشكل متكامل متناغم لتشكيل لوحة فنية جمالية تعرض نفسها على قارئ مبدع، وتمارس عليه سلطتها في الإغراء والإغواء، ليتسنى لها إثارة التشويش على هذا التلقي، أو تكون المؤشر الدال على الأبعاد الإيحائية للنص»[26]، من أجل هذا عُد الغلاف بمثابة عتبة تحيط بالنص، يعبر من خلالها السيميائي إلى أغوار النص الرمزي والدلالي اعتمادا على هذه الأيقونات؛ لذلك يُنظر في النظرية السيميائية إلى الغلاف



بوصفه لوحة ضمن معمار النص وبالتالي يُنظر إلى ذلك الغلاف باعتباره جزءا من النص، يتميز عن الصفحات المشكلة للمتن بطابعها الدلالي الأيقوني، وتنتظم فيه المعطيات البصرية واللسانية بشكل يجعل من اندماج النسقين اللفظي والبصري أمرا واردا ومهما في بناء النسق الدلالي العام. وقبل أن أخوض في تفسير وتحليل غلاف المدونة الروائية ومكوناته ومكنوناته سأطرح بعض الأسئلة التي ستكون منهجي في السبيل إلى ذلك، وهي كالآتي:

1- إلى أي مدى تصل علاقة غلاف الرواية بمتنه؟

2- هل وفق مصمم الغلاف في اختصار محتوى الرواية وإيصاله للمتلقي؟

3- ما علاقة اللوحة المرسومة على الغلاف بعنوان الرواية؟

جسد غلاف رواية ("عدو الشمس"، البهلوان الذي صار وحشا)، محطة هامة في تجربة ما يسمى (بالثورة الليبية) لما فيه من العلامات البصرية واللسانية التي تعكس حقيقة هذه الثورة.

وينقسم وجه الغلاف إلى عدة أقسام: القسم العلوي من اللوحة كتب اسم المؤلف "محمد سعيد الريحاني"، وتصدر اسمه أعلى الصفحة له عدة دلالات، من بينها إبراز صاحب العمل الإبداعي وتميزه عن باقي العناصر الأخرى التي احتواها الغلاف، وقد كُتب هذا الاسم باللون الأبيض والذي يرمز إلى «الطهارة والخلوص والصفاء والنقاء والمحبة والخير والحق والعدالة»[27]، وكل هذه الدلالات نلمسها بين دفتي هذا الغلاف، من ذلك رغبة الشعب الليبي في التخلص من حاكمهم المستبد، وأن يعم السلام والهدوء في بلادهم وأن يتحقق الحق والعدالة والمساواة بين أفرادها.

وعما يوحي بغياب هذه الدلالات الأخيرة (الحق، العدالة،المساواة)، نأخذ مقطعا من الرواية يوضح ذلك:«قرب باب قصره، وجد متسولة قبلت يده اليمنى ووضعت في يده اليسرى وصفة علاج لا تستطيع تسديدها فصرخ في وجهها:

ولكن التطبيب مجاني في البلاد ؟ فكيف تتسولين علاجا هو في متناول يدك بحكم الحق والقانون؟فأجابت:

- التطبيب ليس مجانيا علينا، نحن لسنا من حزب اللجان الثورية، أيها القائد، يمكنك الذهاب إلى باب المستشفى لتتأكد من صحة قولي!...»[28]، فلا يوجد حق ولا عدالة ولا مساواة بين أفراد الشعب الليبي، وهذا ما رصدته مجريات هذه الرواية، أنه ساس شعبه بالقهر والغلبة ونهبهم وسلبهم حقهم وكمم أفواههم وأخرس أصواتهم لمدة فات الأربعين سنة.

وفي قسم ثاني كتب عنوان الرواية "عدو الشمس، البهلوان الذي صار وحشا"، بالبند العريض، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية العنوان، ومحاولة شد انتباه القارئ له من الوهلة الأولى، وعنوان الرواية "عدو الشمس" متفق إلى حد بعيد مع الصورة التي جاءت خلفه والتي مثلت القسم الثالث من هذا الفضاء، وكانت لوحة فنية تتمثل في "كسوف الشمس"؛ والتي نراها احتلت أوسع فضاء في غلاف الرواية وتوسطته، ومن المعلوم أن "كسوف الشمس" هي ظاهرة فلكية تتعلق بالشمس، حيث يتوسط القمر كل من الشمس والأرض، فيحجب نور الشمس عن الإشراق وعن السطوع في أرجاء البلاد، فقد وُفق مصمم هذا الغلاف في اختيار هذه اللوحة التي تتوافق وتتناسب مع متن الرواية؛ كون الكسوف الذي يحجب ويمنع أشعة الشمس من الإشراق، تتفق مع العنوان "عدو الشمس" (معمر القذافي)، والذي عرفناه من خلال دراستنا السابقة للعنوان بأنه يحجب الحرية ويحجب العدل ويحجب الديمقراطية عن الشعب الليبي، والمقاطع التي تم الاستشهاد بها سابقا على مستوى دراسة العنوان بينت هذا الأمر ؛ من ذلك تجسيدها لمقاطع الفساد والرعب المتفشي في البلاد وما انجر عنه من تضييق على الحريات واضطهاد ومعاناة وابتزاز فرضها هذا الطاغية المستبد الذي يسوس بالقهر شعبه.

وقد جاءت خلفية الغلاف بلون أسود داكن، طغى هذا السواد على مساحة الغلاف بأكملها، فهو من جهة سواد الظلام الذي نتج عن تلك الظاهرة الفلكية (كسوف الشمس) ومن جهة أخرى، جميع تلك الدلالات التي يحملها هذا اللون، فهو يرمز إلى «الظلام والصمت واليأس والخيبة والفناء والحزن والهم والموت... والظلم والظلالة والغضب»[29]، وقد ظهر هذا بكل وضوح في متن الرواية، والذي عكس صراحة مضمون العمل الإبداعي، وجسد الواقع الأسود من ظلم

وجور واستبداد واستعباد وقهر وألم وغضب عاناه الشعب الليبي من دكتاتورهم ومستبدهم "معمر القذافي".

وفي أسفل الغلاف كتب العنوان التجنيسي، وكان ذالك كلازمة من لوازم التسويق الثقافي والترويجي، فلم يكتف بذكر لفظه (رواية)، وإنما صيغت العبارة التالية (أول رواية عن الثورة الليبية)، والذي يعد شكلا من أشكال الترويج لهذا العمل الإبداعي ومحاولة شد انتباه القارئ ودعوته إلى قراءة أول عمل روائي عن الثورة الليبية.

وما يمكن قوله عن كل العلامات البصرية واللسانية التي شغلت فضاء صفحة الغلاف بينت أن لها علاقة وطيدة بالنص، خصوصا الصورة المصاحبة للغلاف تكلمت بألوانها وأشكالها وكانت لها قدرة فائقة لأن تكون نصا موازيا، كونها نطقت بدلالات باح بها العنوان واختزلت صفحات الرواية واستجمعت الأحداث المترامية فيه.

3- خاتمة:

نخلص إلى بعض النتائج يمكن أن نجمل أهمها في ما يلي:

- لقد أدى العنوان "عدو الشمس، البهلوان الذي صار وحشا"، دورا هاما في التعريف بالرواية، فكان النافذة المطلة على مضمون النص الروائي والمرآة العاكسة له.
- فتح العنوان تأويلات خاصة وجملة من التساؤلات أجابت عنها الرواية عبر مساحتها.
- كشفت دراستنا للعنوان أن الروائي يرمي من ورائه إلى التعبير عن واقع النظام السياسي الممارس في حق الشعب الليبي قبل الثورة وأثناءها، كما يعبر من خلاله عن مدى وحشية وجبروت واستبداد وجور الطاغية، وهوسه بالسلطة ورغبته في التحكم في رقاب شعبه طيلة حياته.

– بينت الدراسة الخاصة بالعنوان العديد من القضايا السياسية التي تحدث عنها المتن الروائي من بينها جدلية الصراع بين الحاكم والمحكوم، كما كشفت عن المقومات التي انبنت عليها من ذلك: ذم السلطة والحكم، وكشفها لمظاهر الاستبداد والظلم والجور.

_ إن صورة الغلاف توشك أن تطابق متن الرواية، كما كانت مرآة عاكسة لهذا المتن ومفتاحا إجرائيا للولوج إلى مداخل النص.

_ كشفت دراستنا للغلاف من خلال علاماته البصرية واللسانية التي شغلت فضاء هذا النص الروائي، أن له علاقة وطيدة بنصه خصوصا تلك الصور المصاحبة له والتي تكلمت بألوانه وأشكاله ونطقت بدلالات لأحداث سياسية مترامية في متنه الروائي.

4- الهوامش:

[1]- أحمد محمد عطية: 1981، الرواية السياسية " دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية"، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر،ط$_1$، ص: 10.

[2]- طه وادي: 2002، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، مصر، ط$_1$، ص: 06.

[3]. جميل، حمداوي: 2015، سيموطيقيا العنوان، ط$_1$ ، ص: 06.

[4]. المرجع نفسه، ص: 34.

[5]. رشيد، بن مالك: 2006، السيميائيات السردية، دار مجدولين للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط$_1$، ص: 81.

[6]. أبي القاسم، جار الله الزمخشري: 1998،أساس البلاغة، ج$_1$، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 638.

[7]. ابن منظور: لسان العرب، مج$_4$، ج$_{26}$، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط$_1$، ص: 2324.

[8]. فضل الله، محمد إسماعيل: 2005، تطور الفكر السياسي الغربي، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، مصر، ط$_1$، ص: 14.

[9]. محمد، سعيد الريحاني: 2012، عدو الشمس، البهوان الذي صار وحشا، طوب بريس، الرباط، المغرب، ط$_1$، ص: 12.

[10]. المصدر نفسه، ص: 16.

[11]. شعيب حليفي: 1992، النص الموازي للرواية . استراتيجية العنوان ، مجلة الكرمل، قبرص، ع$_{46}$، ص: 103.

[12]. محمد، سعيد الريحاني: عدو الشمس، البهلوان الذي صار وحشا، ص: 13.

[13]. المصدر نفسه، ص: 15.

[14]. المصدر نفسه، ص: 16.

[15]. المصدر نفسه، ص: 23.

[16]. المصدر نفسه، ص: 24.

[17]. المصدر نفسه، ص: 24.

[18]. المصدر نفسه، ص: 12.

[19]. الخليل، بن أحمد الفراهيدي: 2003، كتاب العين، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، ص: 352.

[20]. محمد، سعيد الريحاني: عدو الشمس، البهلوان الذي صار وحشا، ص: 24.

[21]. المصدر نفسه، ص: 29.

[22]. المصدر نفسه، ص، ص: 30، 31.

[23]. المصدر نفسه، ص: 31.

[24]. جميل حمداوي: 2008، دلالات الخطاب الغلافي في الرواية، 25 سبتمبر بتوقيت:14:52، عن موقع: www.diwanalarab.com

[25]. نعيمة، العقريب: 2009، قصيدة حيزية . دراسة تحليلية، دار الفيروز للإنتاج الثقافي، الجزائر، دط، ص: 224.

[26]. مراد، عبد الرحمان مبروك: 2002، جيوبوتيكا النص الأدبي . تضاريس الفضاء الروائي دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط6 ، ص: 124.

[27]. ليلا، قاسمي حاجي آبادي ومهدي، ممتحن:«الجمال اللوني في الشعر العربي من خلال التنوع الدلالي»، فصلية دراسات الأدب المعاصر، ع9، ص: 86.

[28]. محمد، سعيد الريحاني: عدو الشمس، البهلوان الذي صار وحشا، ص: 13.

[29]. ليلا، قاسمي حاجي آبادي ومهدي، ممتحن: الجمال اللوني في الشعر العربي من خلال التنوع الدلالي»، ص: 90.

5. قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتاب العربي القديم:

_ ابن منظور: (711ه)، لسان العرب، مج4، ج26، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1.

_ أبي القاسم، جار الله الزمخشري: (538ه) أساس البلاغة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

_ الخليل، بن أحمد الفراهيدي: (170ه)، كتاب العين، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

ثانيا: الكتاب العربي الحديث أو المترجم:

_ أحمد محمد عطية: 1981، الرواية السياسية " دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية"، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر،ط1.

_ جميل، حمداوي: 2015، سيموطيقيا العنوان، ط1.

_ رشيد، بن مالك: 2006، السيميائيات السردية، دار مجدولين للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.
_ شعيب، حليفي: 1992، «النص الموازي للرواية ــ استراتيجية العنوان » مجلة الكرمل، قبرص، ع46.
_ طه وادي: 2002، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، مصر، ط1.
_ فضل الله، محمد إسماعيل: 2005، تطور الفكر السياسي الغربي، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، مصر، ط1.
_ محمد، سعيد الريحاني: 2012، عدو الشمس، البهوان الذي صار وحشا، طوب بريس، الرباط، المغرب، ط1.
_ مراد، عبد الرحمان مبروك: 2002، جيوبوتيكا النص الأدبي ــ تضاريس الفضاء الروائي ــ دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط6.
_ نعيمة، العقريب: 2009، قصيدة حيزية ــ دراسة تحليلية، دار الفيروز للإنتاج الثقافي، الجزائر، دط.

ثالثا: المقالات:

_ ليلا، قاسمي حاجي آبادي، ومهدي، ممتحن،(2009)، «الجمال اللوني في الشعر العربي من خلال التنوع الدلالي»، فصلية دراسات الأدب المعاصر، ع9.

رابعا: مواقع الشبكية:

_ جميل، حمداوي: 25 سبتمبر 2008، دلالات الخطاب الغلافي في الرواية، بتوقيت:14:52، عن موقع: www.diwanalarab.com